تصدر عن مبادرة
لأبعد مدى
هندسة التحرير:
ياسين أحمد سعيد

ومضات

أغوار نفسية

العدد 30- فبراير 2018م

افتتاحية العدد:
لماذا الدراما النفسية؟

من ملفات الجرائم:
منال عبد الحميد

حياة أخرى:
ستيفن كينج
ترجمة: محمد عبد العزيز

5 أسباب وجيهة كي لا تدرس علم النفس
حسني محمد

تصميم الغلاف: أسماء أيمن

📖 **ومضات**: دورية غير منتظمة، تصدر عن مبادرة (لأبعد مدى)، يتخصص كل عدد منها في أحد المجالات الآتية (الفانتازيا، الخيال العلمي، الرعب). وأحيانًا (الدراما النفسية، أدب الرحلات، الشأن الثقافي، إلخ).

❑❑❑

🛠 هندسة التحرير 🛠

ياسين أحمد سعيد

🖱 إخراج الغلاف 🖱

أسماء أيمن

❑❑❑

💻 للتواصل 💻

lab3admda@gmail.com

http://lab3ad

facebook.com/lab3d.madaa

https://t.me/LAB3AD

https://twitter.com/lab3ad

❑❑❑❑❑

المحتويات

- مقدمة 6
- لماذا الدراما النفسية؟ 8
- من ملفات الجرائم:

منال عبد الحميد 13

- نرشح لك:

رواية (أتما)- بسمة الخولي 63

- 5 أسباب وجيهة كي لا تدرس (علم النفس)

حسني محمد 59

- (حياة أخرى)- ستيفن كينج.

ترجمة: محمد عبد العزيز 46

- أغوار لوحة: (الصرخة)- مونش 74
- ما بين (الآخرون) و(سماء بلون الفانيليا)

شريف ثابت 77

- علم نفس الكتابة 88
- من الفصل الأول لرواية (أتما) 90

❑❑❑❑❑

مقدمة

انحصر محتوى العدد السابق في نطاق (أدب الرحلات)، بينما يأتي الدور في هذا الإصدار على (الدراما النفسية).

إنها تلك المنطقة الوسطى التي تقع ما بين (الأدب) وحافة (علم النفس)؛ ميزة هذه المساحة أنها قابلة للانفتاح والامتزاج مع كافة الألوان الأدبية الأخرى، فمن الوارد أن نقرأ قصة تاريخية وفي نفس الوقت تحمل أبعادًا نفسية، أو اجتماعية + نفسية، أو بوليسية + نفسية، إلخ.

بل ربما لن تخلو الصفحات التالية –كذلك– من

فانتازيا + نفسية، أو رعب + نفسي، مما يعني أننا لم نبتعد بنسبة 100٪ عن نفس الأجواء التي كانت تقدم في بدايات عهد (ومضات).

❑❑❑❑❑

لماذا الدراما النفسية؟

أهوى كتابة الخيال العلمي لأسباب كثيرة؛ ليس أقلها إمكانية خروجي من حيز كوكب الأرض، فأجعل من أي مكان بالكون مسرحًا لأحداثي.

لن أخبئ عليكم، هذا يمنحنا –معشر دراويش الخيال العلمي– شعورًا بالتميز، وكأننا الإقطاعيين أصحاب ملكية المساحات الأوسع، لكن للأسف اكتشفت أننا مخطئون، هناك من يمتلكون فضاءً أوسع بكثير، ربما أوسع من الكون ذاته.

أعني هنا من يكتبون عن "الإنسان"، أو القصص التي تستهدف الأبعاد النفسية أكثر من أي شيء

آخر. كنت –لفترة– أطلق عليها تسمية خاطئة "السايكو الدراما"، إذ لم أجد لفظة أقرب للتعبير عم أقصده، قبل أن أكتشف فيما بعد عدم انتماء ذاك المصطلح –من الأصل– إلى دنيا الأدب، وإنما هو قادم من قاموس علم النفس؛ حيث يطلق على أحد أساليب العلاج النفسي، يُنسب إلى جاكوب مورينو.

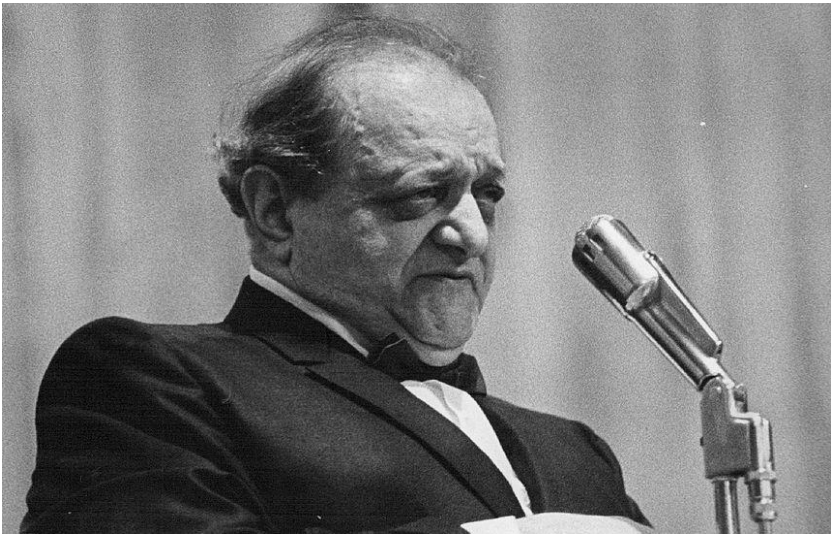

شيّد مورينو جسرًا بين الفن وعلم النفس، فجعل المرضى يقومون بتمثيل مسرحيات كجزء من روشتة الاستشفاء (استخدم المخرج مارتن سيكورسيزي نفس الفكرة ببراعة من خلال فيلم Shutter Island، بطولة النجم الوسيم ليوناردو دي كابريو).

كي نكون متفقين.. لا يخلو أي نص أدبي عمومًا من جانب نفسي ما دامت شخصيات الحدوتة بشرًا (أو حتى في حال كانوا حيوانات، فضائيين، جان، إلخ)، إذن.. ما التسمية الدقيقة لتلك النصوص التي تركز على صراعات أبطالها الداخلية، أكثر بكثير مما يدور خارجهم؟

هي ليست سايكو دراما، ولا روايات نفسية، ربما

لا يوجد تصنيف واضح يجمعهم من الأساس، لكننا نحبها؛ هذا سبب كافي –من ناحيتنا كمبادرة (لأبعد مدى)– كي نثرثر عنها بسلسلة كاملة عنها، خصوصًا أن الكلام فيها ثري جدًا؛ نظرًا لتعدد الاتجاهات الأدبية التي توسعت في هذا الميدان:

هناك مارسيل بروست بمدرسته الانطباعية.

جيمس جويس الذي خرج عن السائد عصره، واعتبرت روايته (عوليس) ثورة في حد ذاتها، كنموذج رائد لما يطلق عليه.. (تيار الوعي).

جيروم ديفيد سالينجر صاحب تحفة (الحارس في حقل الشوفان) التي تنتمي لنفس التيار.

فرانز كافكا وتجلياته الغرائبية المقبضة التي يمزجها

بالواقعية السحرية.

قبل كل هؤلاء، يتربع دستوفسكي على العرش، بتقديمه هذا الكم الخالد من الأنماط النفسية المعقدة، كـ(الأبله)، (المقامر)، (الأخوة كرامازوف)، وغيرها.

على صعيد آخر، يمارس بعض المؤلفين إلى الكتابة ذاتها في العموم كنوع من العلاج، أما بالنسبة إليّ.. أعتبرها –في بعض الأحيان– على العكس؛ مصدرًا لأمراض نفسية إضافية.

تقع هذه المسألة –أيضًا– ضمن ما سنحاول استكشافه على مدار الصفحات/ الأعداد التالية.

ياسين أ. سعيد

من ملفات الجرائم

■ منال عبد الحميد ■

ابتسم (ابن سام) له، وهتف محييًا:

- صباح الخير يا (ديفيد)، كم أنت وسيم اليوم!

ظهر تعبير مغتبط على وجه (ديفيد) ومد يده ليُعدّل من وضعية خصلة شعر بنية نافرة فوق جبينه العريض، راقبه (ابن سام) ثم قال مكررًا تقريظه:

- نعم.. إنك وسيم جدًا! ومحبوب أيضًا.. ماذا سنفعل اليوم؟!

التقي حاجبي (ديفيد) وظهرت أمارات التفكير العميق على وجهه، وعلامات التفكير على وجه (ديفيد بركويتز) لا تعني عادة أنه يفكر، فلم يكن يتمتع بالقدر الكافي من الحصافة أو الاتزان العقلي ليفعل، إنها تدل فقط على كونه لا يعرف أين يضع

فردتي جوربه معًا! راقب (ابن سام) صديقه للحظة متأملًا ملامحه التي تدل دلالة واضحة على الحيرة، ثم أردف بنفس صوته الواثق الثابت:

- ما رأيك أن نذهب إلى الصيد؟

أشرقت ملامح (ديفيد) فجأة، وتألق النور في عينيه، وهتف متلعثمًا:

- نعم نعم.. نذهب للصيد!

لكن صفاء وجهه لم يلبث أن تعكر وظهرت أمارات ضيق واضحة عليه، وهو يقول محتجًا بلهجة ضعيفة:

- لكن هؤلاء الأشخاص الذين يرتدون الزى الرسمي يجوبون كل مكان.. إنهم يبحثون عن (ابن

سام)!

اتسعت عينا (ابن سام) دهشة وتساؤلًا، قبل أن يرد سريعًا:

- أتعني رجال الشرطة؟!

هتف (ديفيد) وقد وجد ضالته أخيرًا، بعد أن نقب في عقله طويلًا، وفشل في العثور على المصطلح الذي يطلقونه عادة على الرجال ذوي الزى الرسمي، وقال متنفسًا الصعداء رغم توتره:

- نعم نعم.. رجال الشرطة هؤلاء.. أنت تعرفهم!

بالطبع كان (ابن سام) يعرف رجال الشرطة، مثلما جميع الأشياء الأخرى الموجودة في العالم، لا شيء يخفي على ابن (ابن سام)، لذلك قال مؤكدًا بلطف:

- اخرج للصيد يا عزيزي ولا تقلق.. فلن يمسك بك رجال الشرطة اليوم.. إنهم نائمون جميعًا!

أشرق وجه (ديفيد)، حتى كاد يضيء من فرط سعادته، وثمل بفرحة الفوز، ليجيب فورًا:

- نعم يا صديقي.. ما دمت تقول!

تحول (ديفيد) ليعود أدراجه إلى المنزل ويجلب معداته الضرورية، وتبعه صوت (ابن سام) يقول له مرشدًا إياه إلى ما كاد ينساه تقريبًا:

- ولا تنس إحضار بندقيتك.. والكثير من الطلقات.. إن الصيد وفير بالخارج!

هرع (ديفيد) لا يلوي على شيء منفذًا الأوامر الصادرة إليه من مرشده ومثله الأعلى، غير ملقي

بالًا إلى الخطأ الصغير الـذي وقـع فيـه الأول، إذ لم ينتبه إلى أن (ديفيد) لا يستخدم البندقية في رحلات صيده، بل المسدس، لكن هذا خطـأ تافـه صـغير.. فأنت لا تتوقع أن يعـرف (ابـن سـام) الفـرق بـين المسدس والبندقية.. شأنه في ذلـك شـأن أي كلـب آخر في العالم!

❑❑❑❑❑

طرده (هارفي) -الشهير بـ(ابن سام)- إلى الشوارع التي يهيمن عليها الرعب والهلع، الشوارع الغافية، والذعر يموج تحت جفونها المقفلة، حيث يتوقع كل من يقود سيارة، أو يتوقف ليصف عربته في مكانها، أو يقف بجوار عربة، أو يجلس بداخل سيارة أن تباغته رصاصة طائشة في لحظة ما لتودي بحياته، أو على الأقل تجعله يستبدل جزء من عظام رأسه بشريحة معدنية مثلما جرى لـ(كارل دينارو)، إن السفاح مطلق النيران لا زال مجهولًا، ولا زال حرًا طليقًا، الجميع يبحثون عنه، مثلما أن الجميع أيضًا يخشونه ويخافون بأسه.

لم يشعر (ديفيد ريتشارد) أبدًا بتلك النشوة السامية التي تداعبه، كلما فجر رأسًا مسترسل

الشعر برصاصاته، ولم يحس أبـدا إنـه مهـم ومـؤثر هكذا، حتى صدمة اكتشافه أنه ابن لقيط، ابن غـير شرعي، منبوذ ومقطـوع ومـتروك وغـير مرغـوب فيه، توارت تمامًـا خلـف انتصـاراته البـاهرة التـي حققها في شوارع (نيويورك)، إنه يملك الزمام الآن ويحصل على كل المتعة الممكنة.

لن يتفهم أساتذته الحمقى في المدرسة هـذا المجـد، ولا زملاءه الذين لطالما سـخروا منـه، لـن يحققـوه أبدًا. مَن مِنهم يملك من القـوة مـا يكفـي بحيـث يطرد سكان مدينة بأسرها، مدينة الشيطان الزاخرة الصاخبة نيويورك، بعيدًا عن الشـوارع والصـخب والحيـاة، ويجـبرهم عـلى تحـرِّي الزوايـا المنعزلـة وأطـراف الغـابـات الموحشـة والابتعـاد عـن

التجمعات ونطاقات الصخب واللهو؟!

إنه هو وحده الذي يستطيع أن يفعل ذلـك.. وهـو عازم على تحقيق المزيد من التقدم!

❑❑❑❑❑

هذه المرة كان متأهبًا ومتحفزًا تمامًا، ثمة صوت خفيّ -غير صوت (هارفي) المسكين- يحادثه ويهيب به أن يمضي في طريقه، لم يفهم أبدًا لماذا يرتبط (هارفي) في وعيه بلقب (مسكين)، لا شيء مسكين أو مستكين في هذا الكائن النابح الشرير!

(هارفي) كلب جاره (سام)، الكلب الوحيد في العالم القادر على الكلام، والذي يبث رسائل مسمومة إلى وعيه مباشرة، صحيح أن كلامه يختلط دومًا بالنباح، لكن كلامه دائمًا مهم أيضًا، وتوجيهاته مفيدة.. إن (هارفي) يدفعه لصنع المجد.. فهو يعرف جيدًا كم يحتاج (ديفيد ريتشارد بركويتز) لمجد يخلد اسمه!

ولا شيء ممجد وباقي أكثر من قتل البشر.. ليس

بغرض إيذائهم أو إلحاق الضـرر بهم.. بـل لمجـرد قتلهم وحسب!

هذا ما يسمونه (العمل النظيف)، العمـل الـذي لا يـنجم عنـه أيـة أضرار لأي طـرف مـن أطرافـه، فـ(ديفيد) لا يتضرر مطلقًا من عملية إطلاق النـار على ضحاياه، إن ذراعه ثابتة وقد علمها -منذ تلك الليلة التي فتك فيها بأول هدف- كيف تكون ثابتة وتلاحق هدفها بهدوء وتحكم كامل في الأعصـاب، القتلى من جانبهم لا يبدو أنهم يعـانون أي ضرر أو تلحق بهم أية خسائر، إنهم يموتون فقط، عدا هـذا لا يصيبهم أي مكروه!

أمـا شرطـة (نيويـورك) فيجـب أن تكـون شـاكرة للشاب الأشقر الرزين الـذي يـوفر لهـم عمـلًا في

مواسم البطالة وأيام التعطل.. إنه يضحي في الحقيقة من أجل إسعاد الآخرين.. ليس هناك أجمل من أن تتعب لتجعل غيرك يستريح، وتشقى من أجل توفر لغيرك نهاية هادئة مسالمة!

إنه الفردوس يا أمي!

❑❑❑❑❑

تحرك بهدوء، كعادته، مقتربًا أكثر من المشهد الواقع تحت بصره، إنهما شخصان يتبادلان حديثًا في سيارة (بونتياك) على جانب الطريق، يأمل أن يكونا فتاتين، إنه يفضل الفتيات سوداوات الشعر، غير أن ذوقه تحرر في الأشهر الأخيرة، ولم يعد يمانع في "العمل مع" قائمة أكثر شمولًا من أصناف البشر؛ لقد أدرك أخيرًا أن العنصرية والتمييز غير مجديين في مهنته، ويسببان –أحيانًا– خسائر فادحة.

على أية حال فقد اكتشف (ديفيد) أن اللون الأسود يلائمه تمامًا، لماذا لم يفكر من قبل في أن يجرب ألوان الثياب المختلفة أمام المرآة، ويرى مدى مناسبتها لبشرته؟ الجميع يفعلون ذلك، لكن يبدو أنه لا يولي نفسه العناية الكافية.

وعد نفسه بأن يفعل منذ الليلة، بمجرد أن يفرغ من مهمته الصغيرة العزيزة.

كان الشخصان داخل السيارة يتحدثان، كم يكره السيارات (البونتياك)، صحيح أنه لا يملك سيارة، لكنه إن فكر يومًا في اقتناء واحدة، فلن يشتريها (بونتياك) أبدًا، ولو أعطوها له مجانًا.

استمر المتواجدين داخل العربة في تبادل حديث هادئ، قطعاه فجأة إذا مالا نحو بعضهما متبادلين قبلة حارة، إنه مغتاظ الآن، فقد تأكد من كون الاثنين في السيارة رجلًا وامرأة! لكنه عاد يذكّر نفسه بما استقر عليه رأيه سابقًا، أنه لا مكان للعنصرية والتمييز في مهنته المقدسة، وهكذا أخذ يقترب منهما بهدوء حتى صار في موضع يمكنه

مـن إحكام التصويب والإطلاق!

وفي داخل السيـارة كان الخطيبـان يتناقشـان حول استكمـال سهـرة الليلة، لقد خيب فيلم (روكـي) آمـال (كريسـتين)، ويرغـب (جـون) بشـدة في تعويضها عن ذلك، لهـذا عـرض عليهـا الـذهاب للرقص، كان يعرف قاعة لطيفة يغشاها العديد من أصدقاؤها المشـتركين، ولا تبعـد كثـيرًا عـن محطـة (لير)، حيث وقفا بالسيارة يتناقشان.

سُرّت (كريستين) من الفكرة ولم تمانع كثيرًا، برغم قلقها على العودة إلى المنزل الليلة، قالت إنها تود أن تخلد إلى النوم مبكرًا، لكـن اقـتراح حبيبهـا جعـل عيونها تلمع بالحماسة والشغـف. إن (جون) بـارع في إيقـاظ حواسها ومداعبة حماستها الطلقـة بشكل

لا يصدق!

إنه رجل نموذجي.. تمامًا مثل (ديفيد) الذي كان قبالتهما الآن.. إنهما يتحدثان ولا ينتبهان لوجوده.. كان (جون) في منتصف جملة ما، لم يحتفظ بها وعيه الذاهل بعد تلك الليلة، عندما تحطم جدار الصمت المخيم على الليل حولهما بترديد لأصوات بشعة منكرة ومثيرة للفزع.. صوت طلقات رصاص!

انهال الرصاص على جسم السيارة، واخترق زجاجها لينفذ إلى الداخل، أصيب (جون) بحالة ذعر هائلة، ورفع يديه متفاديًا الرصاص، فقط ليتذكر بعد أقل من لحظة أن خطيبته تجلس إلى جواره، نظر بسرعة خاطفة فوجدها هامدة مكانها، ضربه الذعر ليجد أن الصمت قد ساد بعد لحظة

أخرى، وكفت أصوات إطلاق النار، الـتقط نفسًـا متقطعًـا مفعـمًا بـالتوتر، وأحـس بطعـم صـدئ في حلقه، لكنه لم يبالِ، إنقاذ (كريسـتين) هـو كـل مـا يفكر فيه الآن!

فتح باب السائق بحـذر، وتلفـت حولـه، ثـم عـاد يتطلع نحو فتاته الساكنة مكانها بقلـق متزايـد، مـا لبث أن تيقن أن مطلق النيران -مهما تكن شخصيته أو مبرراته- قد رحل.

انزلق (جون) بحـذر إلى الأرض، ثـم أغلـق بـاب السيارة المفتوح خلفه، تطلع حوله بخوف شـديد، وهو معتمد عـلى ركبتيـه، محـاولًا اخـتراق الظـلام المحيط به، والذي لم تفلح أضواء المحطة القريبة في تبديده، محاولًا التأكد من كـون المكـان صـار آمنًـا،

كان قلب (جون) يدق بقرع طبول حرب جنونية، ويكاد يخر مغشي عليه من فرط الذعر، لكنه كان يعرف أنه إن استسلم للخور لحظة واحدة، فسيفقد هو وحبيبته حياتهما في تلك الليلة وإلى الأبد!

أخيرًا تسرب قليل من الطمأنينة إلى قلبه، فنهض ببطء شديد، ووقف على قدميه، وتطلع حوله والقلق، كآلام ولادة، يعاوده مختلفًا في شدته من دقيقة لأخرى. وقف (جون) ونظر داخل السيارة، لم تند حركة واحدة عن (كريستين) الموجودة بالداخل، ولما خامره اليقين راح يركض بأقصى سرعته وهو يصرخ طالبا النجدة.

ترددت صرخات (جون)، الذي كان يعدو بكل ما لديه من قوة رغم تدفق الدم من إصابات لم يشعر

بوجودهـا حتـى الآن وإحساسـه بغثيـان يمـزق أحشائه، ركض في اتجاه المحطـة التـي كـان سـهم ضوئي ساطع يشير إليهـا، وتوقـف لثانيـة واحـدة ليلتقط أنفاسه، ثم عاد يرسل صرخاته المستغيثة في كل الاتجاهات.. كان الخوف على (كريسـتين) هـو الذي يحركه، مع أن قوته الحقيقية قد تلاشـت منـذ اللحظة التي سمع فيها صفير الرصاص وهو يمرق من حوله!

أخيرًا جذبت صرخاته انتباه اثنين من عمال المحطة، اللذين اندفع أحدهما نحوه، بينما خرج الآخـر مـن باب داخلي ووقف في المساحة الفاصـلة بـين مبنـي المحطة ورصيف غسيل السيارات الصغير يسـتمع في قلق وتوتر، وصل جون لاهث الأنفـاس فتلقـاه

العامل الأول، وأمسك به قبل أن يسقط على الأرض، بينما اندفع العامل الثاني نحوهما أخيرًا، وقد لانت مفاصله المتيبسة تحت وقع الشعور بواجب تقديم المساعدة للرجل النازف المسكين..

صرخ العامل الأول في زميله، عندما رآه يتقدم من المنطقة التي أرقد فيها الفتي المستغيث الذي خارت قواه أخيرًا:

- (أرشيبالد).. اطلب الشرطة!

صاح (جون) بصوت مرهق متقطع:

- والإسعاف.. الإسعاف بربك.. إنها تموت في السيارة!

هرع (أرشيبالد) لكي يقدم ما بوسعه من

مساعدة، بينما نهض (جون) بصعوبة، متحاملًا على نفسه، وبرغم أن العامل حاول منعه بشكل جدي، إلا أنه وقف على قدمين مهتزتين ثم قال للعامل متوسلًا بصوت مضعضع:

- يجب أن نذهب إليها.. بربك.. إنها هناك مصابة بفظاعة!

طاوعه العامل، برغم قلقه وخوفه من أن يكون مطلق النيران المجهول لا يزال كامنًا في ركن ما من الأركان المظلمة الكثيرة المحيطة بهما، منتظرًا مرور ضحية ثالثة في تلك الليلة، إلا أن نداء الرجولة وتقديم النجدة لمن يحتاجها تغلبا على كل نوازع الخوف والحذر البشري الطبيعي في داخله. استند (جون) إلى كتف العامل وبدأا يمشيان معًا،

بأقصى سرعتيهما، عائدين إلى حيث تقبع السيارة (البونتياك) اللعينة.. حيث كان كل ما يأمل فيه كلاهما أن يجدا (كريستين) لا تزال هناك.. حية!

❑❑❑❑❑

➢ من ملفات جرائم القاتل المتسلسل الأمريكي (ديفيد بركويتز).. الشهير بـ(ابن سام).

➢ مواليد عام 1953م.

➢ اتهم بقتل ستة أشخاص بين يوليو 1976م، ويوليو 1977م.

❑❑❑❑❑

نرشح لك:

ياسين أحمد سعيد

قليلة هي الروايات العربية المعاصرة التي اهتمت بالتوغل في (الأجواء النفسية، أطبائها، أمراضها، إلخ).

أو ربما هذا ما يُهيأ لي على الأقل، لذلك.. سأحاول -بإذن الله- تقصي وترشيح ما أعرفه وأعجبني منها ضمن باب ثابت في هذه السلسلة.

لا داعي للتنويه -طبعًا- أن الانطباعات التالية إنما هي نابعة من الذائقة الشخصية لكاتب هذه السطور، والتي قد يتفق أو يختلف معها القارئ.

أول ما خطر في بـالي كنمـوذج للروايـات النفسـية هي: (أتما).. للكاتبة (بسمة الخولي).

تنقسم الروايات المتميزة –في رأيي– إلى:

- نوعيـة تتنـافس بقـوة مـع الآخـريـن في مضمار

الكتابة المألوفة.

- أخرى تهندس لنفسها شخصية ومضمار مختلفين، لا تنافس فيه إلا نفسها.

تنتمي رواية (أتما) إلى النوع الثاني.

- هل تملك الإرادة الكافية للانتحار؟

تنطلق شرارة الأحداث بهذا السؤال، الذي ألقى على مسامع د. (أحمد).

كما نعلم، يفرض علم النفس على أطباءه مد يد العون لمحتاجيه حتى الوصول به إلى.. لنقل إلى قدر من (الاتزان)، فماذا لو شد أحد المرضى يد المعالج إلى عالمه؟! عالم مقبض.. قائم على التعامل مع (الألم) كـ(ضرورة).. ربما.. كـ(متعة)!

(أتما) هي (الروح) في العقيدة الهندوسية.

تبنت الرواية رؤية خاصة في هذا الصدد، أكسبت الأحداث سوداوية مكثفة، ظلت تتصاعد (سؤالًا بعد سؤال) وكأنها درجات سلم، حتى الوصول إلى النقطة التي اعتبرتها خاتمة موفقة إلى حد كبير.

لدي تحفظات –بالمناسبة– على بعض النقاط في الرواية، بالإضافة إلى أجزاء من خط الأحداث، لكن كلاهما يعتبران شوائب طفيفة، لا تمس تميز البنيان العام للعمل.

■ **مرفق في نهاية العدد:**

– صفحات من الفصل الأول للرواية.

❑❑❑❑❑

5 أسباب وجيهة كي لا تدرس (علم النفس)

حسني محمد

1- لا تدرسه بغرض التخلص من مأساتك:

علم النفس سيمنحك إجابات، سيمنحك وصفًا، لكنه لن يمنحك حلولًا مباشرة على الإطلاق، ولن يمنحك السعادة التي تنشدها، هو فقط سيمنحك الراحة، راحة المعرفة، راحة التصالح مع المأساة فقط لكونك صرت تفهم الأسباب الكامنة خلفها، وشعور وهمي بقدرتك على التحكم في تفاصيل المأساة.

علم النفس سيمنحك نشوة إدراك التفاصيل الدقيقة مهما كانت درجة قبحها، هل سبق أن انتشيت لرؤية أحشاءك الداخلية؟! هل سبق أن انتشيت لرؤية أحشاء أحدهم أصلًا؟! حسنًا، علم النفس سيجعلك تفعل.

2- الأمور لا تجري بتلك البساطة:

لا تتصور أن توفر أعراض درستها عن مرض ما في الحالة التي تعالجها، يعني ببساطة أنك توصّلت لمكمن الأزمة، الحالة الواحدة من الممكن أن تحوي بداخلها من العقد والأمراض والاضطرابات ما قد يستغرق منك سنينًا للتعامل معها.

المشكلة هي أن كل عقدة قد تكون نتاج لعقدة أخرى تسبقها، ترسبات متدرجة تحتاج منك تتبع مرهق لتاريخ الحالة وتاريخ العائلة.

3- علم النفس ليس للعلاج فقط:

ربما لستُ مضطرًا لإخبارك بذلك، لأنك تدريجيًا ستبدأ بالتخلي عن ذلك التصور النمطي الشائع

بشأن الطبيب النفسي ذي القلم والمفكرة والمريض المستلقي على الشيزلونج، وستدرك أن ذلك المجال أوسع مما تتخيل، لدرجة أنه لم يترك مجالًا آخر تقريبًا إلا وله فرع بداخله!

هل كنت تدرك أن هناك ما يسمى بعلم النفس البيئي؟ هل يوحي لك الاسم بفكرة محددة؟ ماذا عن علم النفس الجنائي؟ علم النفس الاجتماعي؟ علم النفس المهني؟ علم النفس الإرشادي؟

4- دراسة علم النفس تزيد من احتمالات إصابتك بالسكر والضغط:

وربما الفشل الكلوي كذلك، فلسبب غامض يصر البعض على اختصار علميّ

(البارسيكولوجي) و(التنمية البشـــرية) وبرنـامج (أنا والنجوم وهواك) في (علم النفس).

5- (فرويد) لم يمت، بل احترق ذاتيًا:

وهذا استنتاجي الخاص بالطبع، ما لم يكن (فرويد) محاطًا بالكثير ممن طالبوه بتحليل شخصياتهم، عـلى سبيل تزجية الوقت و"بدل مـا أنـت قاعـد فـاضي كدا"، لا تخبرني أنـك لـن تتبنـى مدرسـة التحليـل النفسي كي تتفادى ذلك، هل تظنهم يكترثون؟!

ستحللهم حتى لو أقسمت لهم أنك تعمل راقصـة بالأساس، ولا علاقـة لـك بعلـم الـنفس، لا يهـم كيف، تصرف!

❑❑❑❑❑

■ المقال بتصرف، نقلًا عن مدونة (مذكرات مريض نفسي).

❑❑❑❑❑

حياة أخرى

(قصة قصيرة)

تأليف: ستيفن كينج

ترجمة: محمد عبد العزيز

نُشرت في المجموعة القصصية:

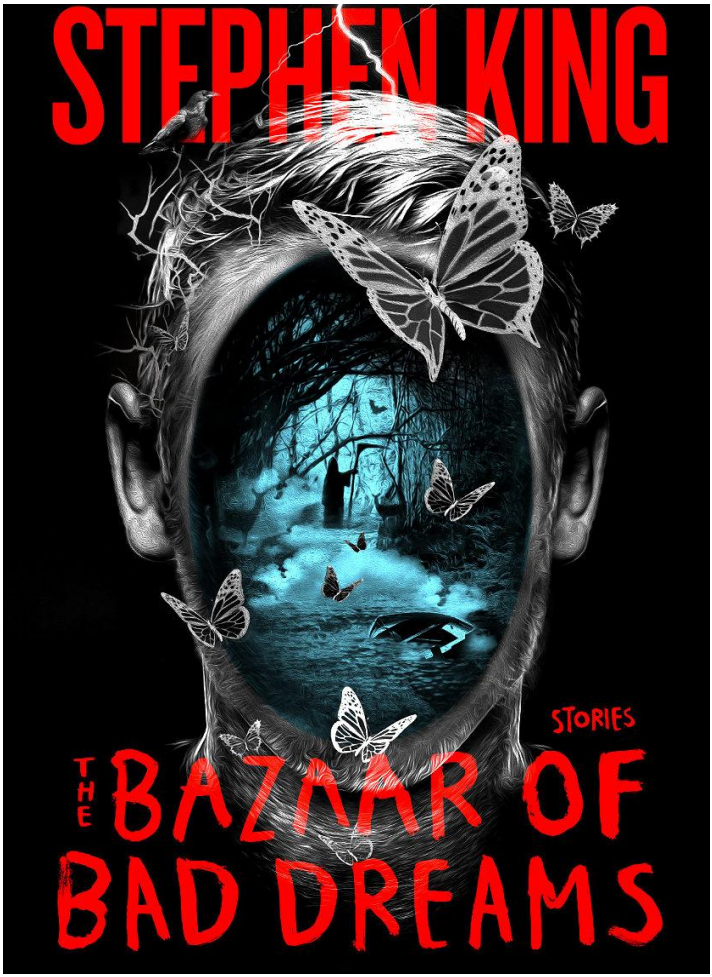

مات (ويليام أندروز) الذي كان يعمل كمستثمر بنكي في مؤسسة (جولدمان ساكس) الكبرى في فترة بعد الظهر من يوم 3 سبتمبر 2012م.

الوفاة متوقعة. كانت زوجته وأطفاله موجودين إلى جانب فراشه في ذلك المساء وعندما انفردت الزوجة (لين أندروز) بنفسها أخيرًا بعيدًا عن التيار الرتيب للزيارات العائلية وتعازي الزوار، قامت بالاتصال بأقدم صديقاتها (سالي فرايمان) التي كانت ولا تزال تعيش في (ميلووكي).

كانت (سالي) هي من عرفتها على (بيل) ولو كان هناك من يستحق معرفة تفاصيل آخر ستين ثانية من حياتها الزوجية التي استمرت لثلاثين عامًا فسيكون هذا الشخص (سالي).

- كان غائبًا عـن إدراكـه طيلـة الأسـبوع المـاضي، بسبب الأدوية أعتقد، لكنه بدأ يفيق قرب النهايـة، كانت عيناه مفتوحتين، رآني، فابتسم، تناولت يـده بين أصـابعي فاعتصـــرها لوهلـة، انحنيـت عليـه وقبلت خده، عندما اعتدلت ثانية كان قد رحل!

كانت تنتظر لساعات لتقول هذه الكلمات، وعندما قالتهم انفجرت بالبكاء.

❑❑❑❑❑

افترضت أن الابتسامة أمر طبيعي لكنها كانت مخطئة للأسف! عندما نظر لزوجته وأولاده الثلاثة بدوا له طويلين للغاية، كائنات ممتلئة بالصحة تسكن عالمًا هو الآن على وشك مغادرته.

بدأ (بيل) يشعر بأن الألم الذي لازمه طيلة فترة الثمانية عشر شهرًا السابقة يغادر جسده كأنه سائل ينسكب من دلو فابتسم. مع اختفاء الألم لم يتبق له كثير من الوقت، شعر بجسده خفيفًا كأوراق تطير مع النسيم، زوجته تلتقط يده، تتنازل وتمد يدًا من ذلك عالم البعيد الممتلئ بالصحة.

كان يستبقي لديه قليلًا من القوة بجسده والآن استهلكها في اعتصار أصابعها بين أصابعه، انحنت فوقه وتوقع أن تقبله.

قبل أن تلمس شفتاها جلده ظهرت فجوة في مركز بصره، لم تكن فجوة سوداء وإنما بيضاء وأخذت في الانتشار لتطمس تفاصيل العالم الوحيد الذي عرفه منذ عام 1956م عندما وُلـد في مستشـفي مدينـة (هيمينجفورد) الصغيرة بـ(نبراسكا).

أثناء العام الأخير قرأ (بيـل) الكثير عن المـرور من الحياة للموت على جهاز الكومبيوتر الخاص به، مع الاهتمام الشـديد بمحـو تـاريخ المتصـفح لكـي لا يزعج (لين) التي كانت متفائلة باستمرار وبشـكل غير واقعي على الإطلاق. على الرغم من أن معظم ما قرأه بدا لـه مجـرد هـراء إلا أن ظـاهرة (الضـوء الأبـيض) بـدت لـه أكثـر تلـك الأشـياء جـدارة بالتصـديق؛ السبب الأول هو أنهـا كانت موجـودة

في كل الثقافات. الثاني: أنها حملت مسحة بسيطة من مصداقية العلم؛ اقترحت نظرية قرأها أن الضوء الأبيض يأتي كنتيجة لتوقف سريان الدم المفاجئ للمخ في حين اقترحت نظرية أخرى أكثر أناقة أن المخ يقوم بعملية مسح شاملة في محاولة للعثور على خبرة شبيهة بالموت، أو ربما يكون الأمر أشبه بإطلاق ألعاب نارية كمرة أخيرة.

أيًا كان السبب فإن (بيل أندروز) يمر الآن به، الضوء الأبيض يطمس على عائلته والغرفة بمحتوياتها كاملة والتي بعد دقائق سيدخلها مساعدو المشرحة لينقلوا جسده الخالي من الروح، أثناء الأبحاث التي قام بها أصبح معتادًا على مصطلح NDE أو Near Death Experiment

أو (تجربة الاقتراب من الموت)، في العديد من تلك التجارب يصبح الضوء الأبيض نفقًا، وفي نهاية هذا النفق يقف من يشير للقادم الجديد في ترحاب أحيانًا يكون الواقف أفراد العائلة الراحلين وأحيانًا يكونون أصدقاء مقربون أو ملائكة أو المسيح أو أحيانًا الإله الرحيم نفسه.

لم يتوقع (بيل) وجود أي مجموعات في انتظاره لترحب به، ما توقعه هو أن تخفت تلك الألعاب النارية الأخيرة وتضمحل حتى تختفي في كنف ظلام النسيان، لكن هذا لم يحدث!

عندما خفت اللمعان لم يجد نفسه في الجنة أو في الجحيم وإنما وجد نفسه في رواق! افترض أنه "المطهر" (أو "الأعراف" طبقًا للثقافة الإسلامية)

فرواق مطلي باللون الأخضـــر ومفـروش بقراميـد متسخة، على الأرجح لن يكـون إلا مطهـرًا، لكـن هذا طبعًا في حالة استمرار هذا الرواق للأبد لكـن الرواق الذي يسير فيه انتهى بعـد سـتة أمتـار عنـد عتبة باب وكان معلقًا على هذا الباب لافتة مكتوبًـا عليها:

- المدير (إسحاق هاريس).

وقف (بيل) مكانـه لبضـع لحظـات متفقـدًا نفسـه ليجد أنه يرتدي البيجامة التـي كـان يرتـديها قبـل وفاته (على الأقل افـترض أنـه تـوفي) يسـير حـافي القـدمين، لكـن لم تكـن هنـاك أيـة علامـة تشـير للسرطان الذي تلمس طريقه في جسد (بيل) ببطء في البدايـة قبل أن ينهشـه، حتى صـار مجـرد هيكل

عظمي مكسو بالجلد.

شعر أنه عاد لوزن الـ(86) كجم والذي كان وزنـه الطبيعي قبل أن يهاجمه السرطان بشراسة، مـد يـده يتحسس مؤخرتـه وأسـفل ظهـره ليجـد أن قـرح الفراش اختفت وهو ما يمثل شيئًا جيدًا.

أخذ نفسًا عميقًا وأخرجه دون كحة، وهو ما يمثل شيئًا أفضل.

سار لوهلة عبر الرواق الطويل وكـان عـلى يسـاره مطفئة حريق معلقـة وفوقهـا كانـت لافتـة غريبـة مكتوبًا عليها:

- متأخرًا، أفضل من ألا يحدث على الإطلاق!

على يمينـه، كانت هنـاك لوحـة إعلانـات وعليهـا

عُلق العديد من الصور الفوتوغرافية القديمة الطراز ذات الحواف المزخرفة وكانت مثبتة على اللوحة بدبابيس، وفوق اللوحة كان هناك شعارًا مطبوعًا يدويًا، يقول:

- نزهة الشركة الخلوية عام 1956م، كم مرحنا وقتها!

تفقد (بيل) الصور والتي أظهرت المديرين والسكرتيرات وموظفي شئون العاملين بالشركة، بالإضافة إلى مجموعة من الأطفال التي تلعب بحماس مبالغ فيه وهم مغطون بالآيس كريم، وكان هناك بضعة رجال يعدون الشواء، أحدهما يرتدي قبعة الشيف الطويلة الأبدية، على حين قام بعض الرجال والفتيات بإلقاء حدوات الخيول أو يلعبون

الكرة الطائرة أو يسبحون في البحيرة، كان الرجال يرتدون مايوهات سباحة قصيرة للغاية وضيقة بمقاييس القرن الحادي والعشرين لكن قليلين منهم كان لديهم كرشًا.

الهوت دوج يتم شيّه في مكانًا ما، والبيرة تُوزع على الجميع، الكل بدا وكأنه يستمتع بوقته فعلًا.

في واحدة من تلك الصور رأى والد (ريتشي بلانكمور) وهو يناول (آن ماري وينكلر) قطعة من المارشميلو المشوي، وهو ما كان شيئًا سخيفًا لأن والد (ريتشي) كان سائق شاحنة، وبالتأكيد لم يذهب أبدًا لإحدى نزهات الشركة في حياته. (آن ماري).. هي فتاة اعتاد على مواعدتها عندما كان بالجامعة!

في صورة أخرى رأى (بوبي تيسدال) أحد زملاء دراسته بالكلية في أوائل السبعينيات والذي كان يسمي نفسه (تيزي الساحر) والذي مات جراء نوبة قلبية هاجمته وهو في الثلاثينيات من عمره، كان على الأرجح موجودًا في عام 1956م لكنه كان وقتها بالتأكيد في الحضانة أو الصف الأول الابتدائي على أقصى تقدير، وليس من ضمن أولئك الذين يحتسون البيرة على شاطئ تلك البحيرة الموجودة في الصور، والتي لا يعرف اسمها حتى الآن! لكن (تيزي الساحر) في تلك الصور بدا شابًا في العشرينيات من عمره وهو السن الذي عرفه فيه (بيل)!

في صورة ثالثة كانت والدة (إيدي سكاربوني)

تلعب الكرة الطائرة، (إيدي) كان أفضل أصدقاء (بيل) عندما انتقلت العائلة من (نبراسكا) لـ(باراموس) بـ(نيوجيرسي)، وكانت (جينا سكاربوني) والتي شاهدها للمحة خاطفة ذات مرة تأخذ حمامًا شمسيًا وهي لا ترتدي سوى سروالًا خفيفًا أبيض اللون، كانت واحدة من أكثر النساء التي مال (بيل) إليهن عندما كان في مرحلة الاستمناء في مراهقته.

الرجل الذي كان يقوم بالشواء هو (رونالد ريجان)!

دقق (بيل) النظر لدرجة أن أنفه كاد يلتصق بالصورة ذات الألوان الأبيض والأسود، لم يعد هناك أدنى شك فيما يراه، كان الرئيس الرابع عشر

للولايات المتحدة الأمريكية يقوم بتقليب الهمبورجر في نزهة الشركة الخلوية.

أية شركة تلك على أية حال؟!

وأين يوجد (بيلي) بالتحديد في هذه اللحظة؟

نشوته لكونه كاملًا مرة أخرى وخاليًا من الألم بدأت تضمحل ويأخذ مكانها شعورًا ممضيًا بالتشوش وعدم الارتياح، رؤية أولئك الأشخاص المألوفين له في تلك الصور لم تبد منطقية وفكرة أنه لا يعرف معظمهم لم تقدم له إلا الحد الأدنى من الشعور بالراحة.

نظر خلفه ورأى درجات سلم تقود لبابًا آخر، وعلى ذلك الباب كان مطبوعًا بحروف حمراء

ضخمة:

- مغلق!

هذا لا يترك إلا مكتب السيد (اسحق هاريس)، سار (بيل) حتى هناك تردد قليلًا قبل أن يحسم أمره ويدق.

الباب مفتوح!

دلف (بيل) للمكتب، وبجانب المكتب الفوضوي وقف رجلٌ بملابس واسعة يرتدي بنطال بدلة بحمالات وكان شعره البني ملتصقًا بجمجمته ومفرقًا من المنتصف، يرتدي نظارات دون إطار. الجدران مغطاة بالفواتير واللوحات الفنية الرخيصة التي ذكرت (بيل) بشركة النقل

بالشاحنات والتي كان يعمل بها والد (ريتشي بلانكمور)، لقد ذهب هناك بضعة مرات مع (ريتشي) وكان مكتب إرسال البرقيات يبدو هكذا.

طبقًا للنتيجة المعلقة على الحائط كانوا في مارس 1911م، والذي لم يكن منطقيًا أكثر من موضوع عام 1956م، وعلى يمين (بيل) بينما كان يدخل شاهد هناك بابًا وعلى يساره بابًا آخر لكن لم تكن هناك أية نوافذ، وإنما أنبوبة زجاجية تخرج من السقف لتتدلى فوق سلة غسيل.

كانت السلة تمتلئ بكومة من الأوراق الصفراء والتي بدت كأنها مزيدًا من الفواتير أو ربما ملحوظات للتذكير بأمورٍ ما لفعلها.. تكومت الملفات مكومة بطول قدمين على الكرسي المواجه

للمكتب.

- أنت (بيل أندرسون)؟ أليس كذلك؟

اتجه الرجل لخلف المكتب وجلس غير مهتم بأن يعرض على (بيل) أن يتصافحا بالأيدي.

- أندروز!

- صحيح وأنا أدعى (هاريس)، ها قد أتيت مرة أخرى يا (أندروز)!

مع كل ما عرفه (بيل) عن الموت فقد بدا ذلك التعليق منطقيًا في الواقع.

وكان مريحًا، مادام لن يعود للحياة مرة أخرى في صورة خنفساء أو ما شابه.

- إذن فهذا هو تناسخ الأرواح؟ هل هذا هو ما يحدث؟

تنهد (اسحق هاريس):

- أنت تسأل دومًا نفس السؤال وأجيبك بنفس الاجابة: "ليس حقًا".

- أنا ميت.. أليس كذلك؟

- هل تشعر بأنك كذلك؟

- لا، لكنني رأيت الضوء الأبيض.

- أوه نعم، الضوء الأبيض الشهير.. كنت هناك وصرت هنا، انتظر لدقيقة، أمسك السماعة.

مر (هاريس) سريعًا بعينيه على الأوراق الموجودة

على مكتبه لكنه لا يعثر على ما يبحث عنه فيبدأ في فتح الأدراج، من أحد تلك الأدراج يأخذ المزيد من الملفات وينتقي أحدها، يفتحه ثم يقلب صفحة أو اثنتين قبل أن يومئ برأسه قائلًا:

- فقط أذكر نفسي، كنت مستثمرًا بنكيًا؟ أليس كذلك؟

- نعم.

- زوجة وثلاثة أطفال؟ صبيان وفتاة؟

- صحيح.

- المعذرة.. لدي المئات من المهاجرين ومن الصعب حفظ كل تفاصيلهم، أظل راغبًا في جمع تلك الملفات مرتبة لكن تلك الأمور تحتاج

لسكرتيرة في المقام الأول، وبما أنهم لم يزودوني بواحدة...

- من هم؟

- لا توجد لدي فكرة.. كل الاتصالات تتم عبر الأنبوب.

دق فوق الأنبوب بيده فتمايل هذا الأخير مع لمساته يعمل بالهواء المضغوط..أحدث التقنيات التي ظهرت.

التقط (بيل) الملفات الموجودة على كرسي الزوار الموضوع أمام المكتب ثم نظر للرجل الجالس خلف المكتب مشدوهًا.

"فقط ضعها على الأرض" حدثه (هاريس).

"سيكون هذا كافيًا في الوقت الحالي، في يوم من الأيام سأقوم بترتيب كل شيء لو أن هناك أيامًا فعلًا -وهو ما أعتقده- لكن من يمكنه أن يكون واثقًا من أي شيء هنا؟ لا توجد نوافذ كما لابد أنك لاحظت، كما لا توجد ساعات؟"

جلس (بيلي) وسأله:

- لماذا تدعوني "مهاجرًا" مادام هذا ليس تناسخ أرواح؟!

تراجع (هاري) في مقعده ووضع يده خلف عنقه، نظر نحو أنبوب الهواء المضغوط والذي لابد أنه كان أحدث تقنية في وقتٍ ما.. 1911م مثلًا.

على الرغم من أن (بيل) يعتقد أن تلك الأشياء

كانت لا تزال قيد الاستخدام في عام 1956م.

هز (هاريس) رأسه وضحك ضحكة مكتومة، ليس باستمتاع عمومًا، وهو يقول:

- لو أنكم فقط تعرفون كم أنتم مملون فحسب، الملفات تلك هي زيارتنا الخامسة عشر.

- أنا لم أر هذا المكان في حياتي!

أجابه (بيل) قبل أن يفكر قليلًا ويستطرد:

- لكن هذه ليست حياتي، أليس كذلك؟ أهي حياتي الأخرى؟

- في الواقع هي حياتي أنا الأخرى وأنت الزائر هنا، وليس أنا. أنت وبقية المهرجين الذين يتبخترون

داخلين وخارجين من هنا، ستستخدم أحد الأبواب للخروج بينما أبقي أنا هنا، لا يوجد حمام هنا لأنني لم أعد أحتاج إليه، فلم أعد أحتاج لتلبية نداء الطبيعة بعد الآن ولا توجد غرفة نوم لأنني لم أعد أنام، كل ما أفعله هو الجلوس هنا وانتظار زيارات المهرجين المتنقلين أمثالك، تدخلون، تسألون نفس الأسئلة وأعطيكم نفس الإجابات، هذه هي حياتي الأخرى، مشوقة للغاية؟ أليس كذلك؟

قرر (بيل) -والذي صادف كل أنواع النهايات الممكنة حسب مختلف المعتقدات خلال أبحاثه الأخيرة- أنه قد فهم ما يحدث من حوله أخيرًا.

- أنت تتحدث عن المطهر (الأعراف)؟! أليس

كذلك؟!

- أوه دون شك، السؤال الوحيد الذي أملكه هو "كم من الوقت سألبث هنا؟"، كنت لأحب أن أخبرك أنني سأجن لو لم أنتقل من هنا لكن للأسف على الأرجح ليس بوسعي أن أجن بقدر ما ليس بوسعي أن أنام أو أقضي حاجتي، أعرف أن اسمي لا يعني لك شيئًا لكننا ناقشنا هذا من قبل، ليس في كل مرة ظهرت فيها لكن في عدة مناسبات.

لوح بذراعه بقوة كانت كافية لجعل بعض الفواتير المتراصة على اللوحة ترفرف مكانها:

- هذا المكان يعتبر بمثابة مكتبي الأرضي.

- في عام 1911م.

- غالبًا، كنت لأسألك لو كنت تعرف ما هو الـ(Shirtwaist) يا (بيل) لكن بما أنني أعرف أنك لا تفعل فسأخبرك ما هي: بلوزة حريمي، في بداية القرن امتلكنا أنا وشريكي (ماكس بلانك) مصنع بلوزات الوسط المثلثة (Triangle Shirtwaist) وكانت صناعة رابحة لكن دعني أخبرك أن النساء اللاتي عملن بالمصنع كن مزعجات بشكل لا يطاق، يتسللن طيلة الوقت للتدخين، أو الأسوأ؛ كن يسرقن أشياء من المكان، يأخذن ما يمكن وضعه بحقائبهن أو يخفين ما يمكن إخفاؤه تحت تنوراتهن لهذا كنا نغلق عليهن الأبواب أثناء ساعات العمل وكنا نقوم بتفتيشهن عند الرحيل، سأختصر القصة لأخبرك أن المصنع

اللعين شب به حريق في أحد الأيام، وتمكنت أنا و(ماكس) من الهروب عن طريق الذهاب للسطح والخروج من سلم الحريق، لكن العديد من السيدات لم يكن بذلك الحظ! سنكون موضوعيين ونقول أن هناك العديد من الملومين، فبعد كل شيء كان التدخين ممنوعًا بداخل المصنع لكن العديدات منهن كن يقمن به على أية حال، سيجارة.. هي ما بدأ الحريق كما صرح قائد قوات الإطفاء، تم تقديمي أنا و(ماكس) للمحاكمة بتهمة القتل الغير متعمد وتمت تبرئة ساحتنا.

تذكر (بيل) مطفئة الحريق الموجودة بالردهة والتي كان معلقًا فوقها لافتة:

- متأخرًا، أفضل من ألا يحدث على الإطلاق!

فكر (بيل):

- لابد وأن إعادة المحاكمة أدانتك يا سيد (هاريس) وإلا لم تكن لتكون هنا!

- مم سيدة ماتت بالحريق؟

أجابه (هاريس):

- 146 سيدة، وأنا أندم لوفاة كل واحدة منهن يا سيد (أندرسون).

لم يتعب (بيل) نفسه بتصحيح الاسم، منذ عشرين دقيقة كان يحتضر على سريره بالمستشفي والآن هو يستمع مبهورًا لتلك القصة القديمة التي لم يسمعها من قبل أبدًا، بقدر ما يتذكر على الأقل.

... (يتبع).

أغوار لوحة

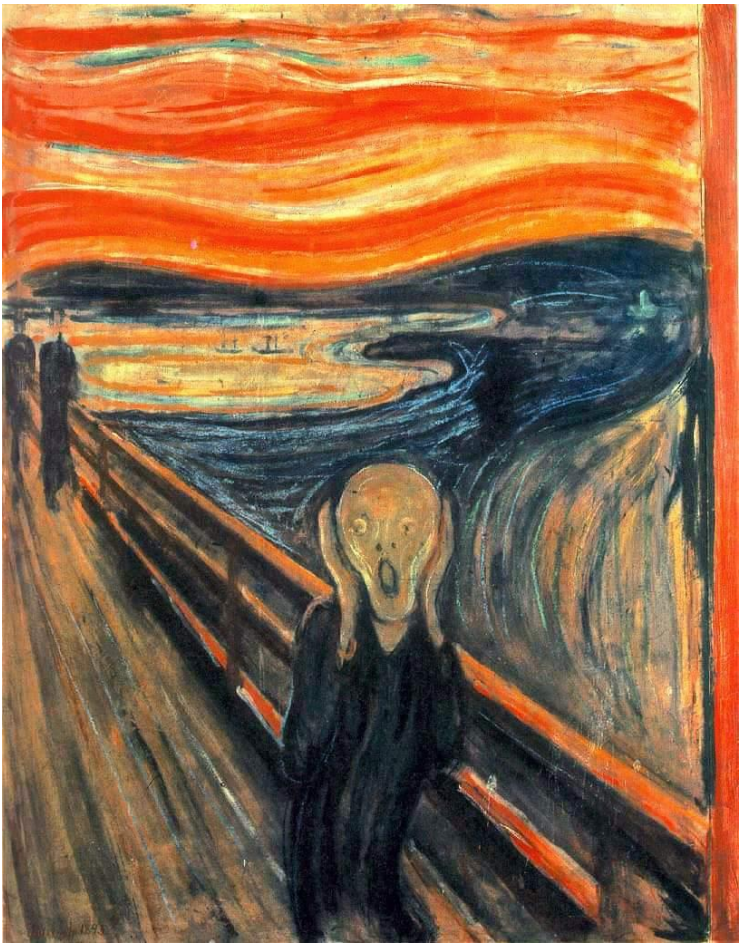

«كنت أسير في الطريق مع صديقين لي، ثم غربت الشمس، فشعرت بمسحة من الكآبة، وفجأة أصبحت السماء حمراء بلون الدم، فتوقفت وانحنيت على سياج بجانب الطريق وقد غلبني إرهاق لا يوصف، ثم نظرت إلى السحب الملتهبة المعلقة مثل دم وسيف فوق جرف البحر الأزرق المائل إلى السواد في المدينة. استمر صديقاي في سيرهما، لكنني توقفت هناك أرتعش من الخوف، ثم سمعت صرخة تتردد في الطبيعة بلا نهاية»

هذه هي الكلمات التي كتبها الفنان (إدوارد مونش) في مذكراته، شارحًا كواليس رسمه للوحة (الصرخة) عام 1893م.

على صعيد آخر، اجتهد البعض في محاولة تحديد

المكان الظاهر في خلفية اللوحة، الذي كان يتحدث عنه (مونش)، ليتضح –بحسب ترجيح عدد من الباحثين– أنه خليج أوسلفورد الواقع في أوسلو جنوب شرق النرويج.

❑❑❑❑❑

ما بين (الآخرون) و(سماء الفانيليا)

لا يُفضَّل الحديث عن أي من فيلمَيّ (سماء بلون الفانيليا) و(الآخرون) بمعزل عن الآخر لعدة أسباب؛ فاقتراب نهاية الألفيّة السابقة وبداية الألفيّة الجديدة، اقترن ببزوغ عددٍ من الأفلام الهوليوودية تمحورَت حول مجموعة من الهواجس المابعد- حداثيّة ذات الجذور الديكارتيّة مُتعلِقة بالشكوك الماهيّة والحيرة إزاء الكينونة الإنسانيّة وحقيقة الواقع الّذي تسبح فيه. من نحن حقًا؟ من هُم الآخرون؟ هل العالم المُحيط بِنا حقيقي؟ هل نعيش واقعًا أم حلمًا؟

هذه الأفلام الهوليوودية عُرِضَت في مدى زمني

قصير بما يُشير لوطأة الهاجس وإلحاحه على عقول المُبدعين في تلك الآونة، وحَظِيَت أيضًا بدرجة كبيرة من الانتشار الجماهيري والحفاوة النقديّة بما يَعكِس درجة كبيرة من تجاوب الجمهور حول العالم مع أسئلة الحيرة الوجوديّة وقابليّة حدوث تصدُّع في جدار الثِقة القطعيّة في طبيعة الكينونة والوجود الإنسانيين.

(نيو) في (الماتريكس)، د. (مالكوم) في (الحاسة السادسة)، (ليستر بيرنهام) في (الجمال الأمريكي)، البطل مريض الشيزوفرينيا في (نادي القتال)، و(چون ناش) في (عقل جميل) وغيرهم.

كلهم نماذج دخلت المتاهة الوجوديّة من مداخل متنوعة بين السايكولوچي والميتافيزيقي

والاجتماعي، منهم من قضى ومنهم من ظل ينتظر الوصول لمرفأ الحقيقة.

وفي هذه الأجواء وصل (أليخاندرو أمينابار) هوليوود. المُخرج الإسباني الشاب الّذي حقَقَ شُهرة عالميّة ضخمة بفيلمه (افتح عَينيك)، والّذي عبّدَ له طريقه إلى عاصمة السينما، إذ استقدمه (توم كروز) ليفاوضه على الحصول على حق إنتاج نُسخة جديدة من (افتح عَينيك) مُقابل حصول (أمينابار) على فرصة كتابة وإخراج فيلمه الهوليوودي الأوَل.

وهكذا شَهِدَت دور العرض المصريّة عرض الفيلمَين في أسبوع واحد من يناير ٢٠٠٢م. الأول هو (سماء بلون الڤانيليا) المُقتبَس عن الفيلم الإسباني المذكور بعاليه، ولعب بطولته (توم كروز)

بمشاركة (كاميرون دياز) و(بينلوب كروز) - الأخيرة لَعِبَت هنا نفس الدور الّذي لعبته في الفيلم الأصلي- و(كيرت راسل)، والإخراج للأمريكي (كاميرون كرو).

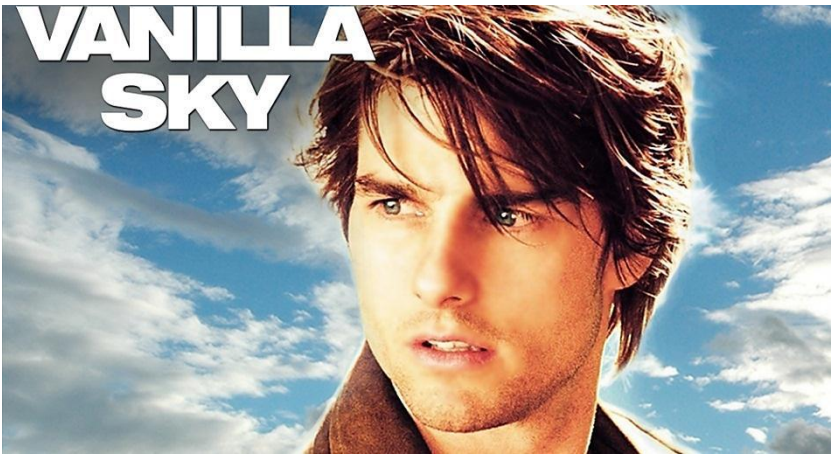

أما الفيلم الثاني فهو (الآخرون) من بطولة (نيكول كيدمان)، وسيناريو وإخراج (أليخاندرو أمينابار). الرابط بين الفيلمَين يتجاوز ظروف صناعتهما وانتماءهما في النهاية لمصدر واحد هو (أمينابار)،

إلى ما هو أكثر تجـذرًا ودلالة:

- الشكوك الماهيّة والحيرة الوجوديّة.

في (سماء بلون الڤانيليـا) وجـد ديڤيـد إيمـز (تـوم كروز) المليونير الشـاب الوسـيم نفسـه مُشـتتًا إزاء سلسلة من الإشارات الغامضة المُتلاحقة من حوله جعلته مُشتتًا عاجزًا عن تمييز ما إذا كان العالم الّذي يحيا فيه حقيقيًّا أم مُزيفًا!

هل أصلِحَ وجهه؟ هل ماتت چولي حقًا؟ هل المرأة التي يضاجعها هي (صوفيّا)؟ هل الطبيب النفسـي الّذي يحاوره حقيقي؟

علامات استفهام مُتزايدة وتيه يزداد تعقيدًا مع كل إجابة من خلال سيناريو شديد الذكاء لم يبتعد كاتبه

ومخرجه (كاميرون كـرو) عـن الأصـل الإسـباني، وتتداخل فيه الأزمنة على نحو شـديد التعقيـد مـن خلال مونتاج حاد النقلات بما يتناسب مع الطبيعة السرديّة الأقـرب لمـا يُعـرَف بتيـار الـوعي، حيـث تتشابك الأفكار وتقفز إحداهما على الأخرى بدون تمهيد بمجرد خروجها لدائرة الوعي.

أما فيلم (الآخرون) -وهو ينتمي إلى نوعيـة أفـلام الرعب التي تحظى بشعبية كبيرة- فتخوض بطلتـه جريس (نيكـول كيـدمان) وطفليهـا سلسـلة مـن التجارب المُفزعة بين أرجاء منزلهما المعزول والّـذي تمرح الأشباح بين أرجاءه، تمخضت في النهاية عـن إدراك صادم بأنهم جميعًا -هـي وطفليهـا وزوجهـا وخدمها الثلاثة- موتى!

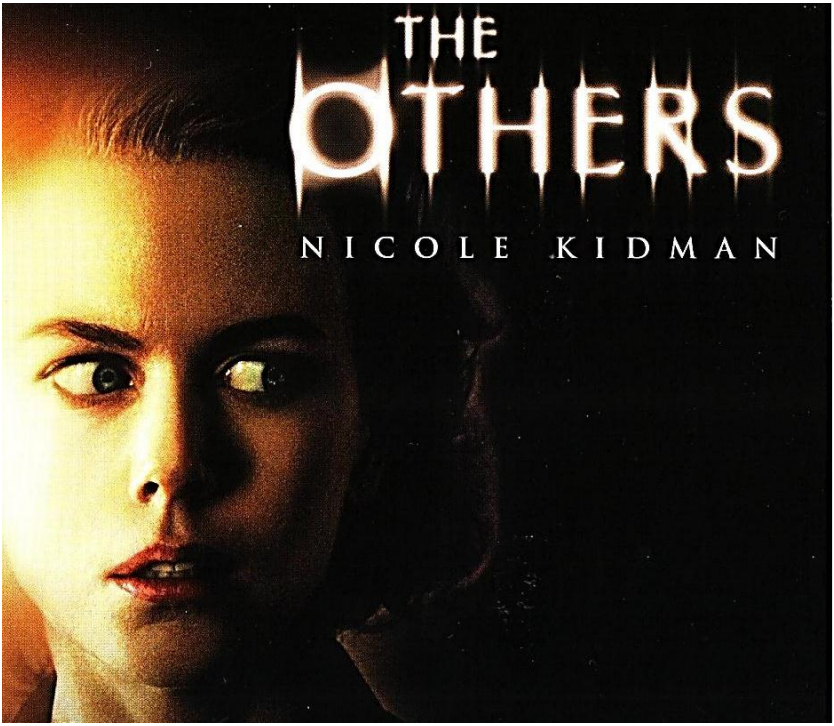

أو بـالأدق: هـم الأشـباح التـي تـدق وتُثـير فـزع الأحيـاء على غرار اكتشـاف د.(مـالكوم) لحقيقتـه في نهاية فيلم (الحاسة السادسـة) بمعنـى أنهـم هُـمُ أنفسهم (الآخرون) الّـذينَ ظلـوا يخشـونهم طيلـة أحداث الفيلم في إشـارة مُبـاشرة لمقولـة ديكـارت

الشهيرة "الجحيم هو الآخرون"، وتحطيم لأساس الثقة في المُطلَق الهويّاتي لحساب التشكك في كل شي بما في ذلك طبيعة الكينونة نفسها، وهو نفس ما سَعَت إليه الأفلام المذكورة بعاليه.

عُرِضَ الفيلمان بـ(مصر) كما أسلفنا في أسبوع واحد بمُفتتَح إجازة منتصف العام، وتفوقَت أرقام (سماء بلون الثانيليا) في أسبوعه الأول نظرًا للشعبية الجارفة لـ(توم كروز)، قبل أن يُسجِل (الآخرون) مُفاجأة رقميّة في الأسبوع الثاني، إذ ارتفعت إيراداته بنسبة قياسيّة وحافظت خلال الأسابيع التالية على مُعدَل مُستقر أهلَّ الفيلم ليحتل مركز الصدارة بقائمة الأفلام الأمريكيّة الأعلى إيرادًا في مصر لعام ٢٠٠٢م.

في حين لم يتخط (سماء بلون الثانيليا) حاجز المليون جنيه حتى، والتفسير هنا لا يقتصر على عشق المُشاهِد المصري لأفلام الرعب، ولكنّها الطبيعة الذهنية الغرائبيّة لسماء الثانيليا، وجنوح كاتبه ومخرجه نحو الترجمة السرديّة والبصرية الكاملة لاضطراب بطله (ديڤيد)، ضَيَّقَت من دائرة قَبوله الجماهيري في العالم كله، فبينما تساوت إيرادات الفيلمين حول العالم (حوالي ٢٠٠ مليون لكلٍ منهما) نجد أن ميزانيّة (سماء بلون الثانيليا) قد قاربت السبعين مليون دولار، في حين لم تزد ميزانيّة "الآخرون" عن سبعة عشر مليونًا.

النزعة المابعد-حداثية والّتي تدفع نحو تقويض أمان المُشاهِد وخلخلة الأرضية التي يقف عليها

والدفع به ليتماهى مع الأبطال في تيه من الحيرة الوجوديّة والتشكك في المُسلمات والمُعطيات وتشوُش صورة الواقع من حولهم، هذه النزعة لم تَختفِ من السنيما الهوليوودّية فيما تلا سنوات بداية الألفيّة، وانبنَت عليها عناوين أفلام شهيرة مثل (شاترز آيلاند) سكورسيزي، (إنسيبشن) نولان، (الفتاة في القطار) المُقتبس عن رواية شهيرة بنفس الاسم، وأيضًا فيلم (مان داون).

ثمة مُفارقة عجيبة في أنَّ الجمهور عندنا في مصر، والّذي أُعجب وتفاعل مع أغلب هذه الأفلام المابعد- حداثيّة لم يجد حرجًا في أزمة السنوات الأخيرة من الاستمساك بمواقف مُتصلبة قطعيّة تجاه قضايا أكثر تشابكًا وتعقيدًا من أحكام الخير

والشر والأبيض والأسود! أو بمعنى آخر لا يـزال متوقفًا عند مرحلة متأخرة من التطـور مهـما زَعِـمَ العكس!

❑❑❑❑❑

علم نفس الكتابة

تستهدف سلسلة (أغوار) توفير ما يمكن تسميته (مصحة جماعية)، لذا.. سينقصها الكثير لو أغفلنا تخصيص زاوية لفضفضة المؤلفين حول متاعبهم مع الكتابة.

لا أعني هنا مشاكلهم مع سوق النشر، أو سجالاتهم الأدبية بين بعضهم البعض، بل (المتاعب النفسية الداخلية) تحديدًا، على غرار: (حبسة الكتابة)، (تعلّق المؤلف بأبطاله)، إلخ.

بدءًا من العدد القادم –إن شاء الله– سنبدأ الدردشة في مثل هذه المسائل، تحت عنوان (علم نفس

الكتابة)، وإن كنت لا أعرف هل هنـاك شيء بهـذا المسمى –فعلًا– أم لا!

في انتظار اقتراحاتكم وآرائكم عن الموضوع، الذين تفضـلون أن نسـتهل بـه مناقشـاتنا عـلى البريـد الإلكتروني:

lab3admda@gmail.com

❑❑❑❑❑

من الفصل الأول لرواية (أتما)

لم تكن لـ«يمنى» علاقة من قريب أو من بعيد بالتخيلات التي رسمتها لها داخل عقلي في طريقي إلى هُنا، حين جلبها مُمرضان إلى داخل الحجرة الصغيرة مُكبَّلة توجَّست، وحين أجلساها، وتفقدوا الأساور الحديدية التي تربطها بالمقعد أمامي رغمًا عني؛ اعتراني الخوف.. لكن بعد مرور دقائق على ذهاب المُمرضَين، وامتلاكي الوقت الكافي لإعادة النظر إليها، ذهبت مخاوفي أدراج الرياح..

كانت صغيرة السن، لم تتجاوز العقد الثاني من العمر، جلست هادئة، تنظر تارة إلى القيود بيدها، وتارة إلى النافذة المُشمسة خلفي. تفادت النظر إليَّ، وبدا من الواضح أنها تنتظر مُبادرتي بالحديث، توتُّر

حركاتها الطفيفة كان واضحًا، لكنه بالتأكيد لم يستدعِ تلك القيود بمعصمها..

سأكون مُبتذلًا إن قلت إنها جميلة، ثم بدأت بوصف وجهها وأنفها وخلافه، لكنها كانت بالفعل جميلة..

جميلة بطريقة مثيرة للفزع!

حين أطلت التحديق إليها بادلتني النظر، العينان الرماديتان اللتان طالعتني بهما من بين سلاسل السواد المُتناثرة حول وجهها الشاحب، باغتت الكتلة العضلية أسفل ضلوعي لوهلة، لكن قسمات وجهها تحولت من الدهشة إلى الابتسام، فابتسمت بدوري، ثم دفنت وجهي بين الأوراق التي

وضعتها فوق الطاولة، تاركًا الفرصة للأحمق خلف ضلوعي كي يجمع شتات نفسه.. حسنًا! تحياتي للشيطان الذي وسوس للحمقى بتقييدها إلى المقعد؛ فهو يملك إرادة من حديد، وطِنًّا من العمى -للأسف- لا أمتلكهما أنا!

بدأت أشعر بغرابة الموقف؛ لذا ألجمت انبهاري الطفولي بالفتاة، وبدأت التفكير بجدية أكبر، أخرجت المُسجِّل الصغير من الحقيبة، ووضعته بعد تشغيله فوق الطاولة، رتبت الملفات بحيث تظهر ترتيبًا مناسبًا للحديث، وبادرت بقولي:

- اسمك يُمنى.. صحيح؟ تقول الأوراق إنكِ نزيلة هُنا منذ.. قرابة عام ونصف، لا تحمل الأوراق وصفًا واحدًا مُفيدًا بشأنك؛ لذا لنترك هذا

الهراء الرسميّ..

أنهيت كلامي متوجًا إياه بابتسامة مزاح، وأنا أقلب الأوراق رأسًا على عقب، وأعقد يدي ناظرًا إليها..

إستراتيجية تخفيف الأجواء بمزحة في ظاهرها رسمية كانت خياري المُفضل من بين طرق بدء الحوار مع المريض، قرأت عنها أثناء دراستي، وأثنى عليها عدد لا بأس به ممَّن تعاملت معهم، قيل إنها الأصلح؛ لأنها تُبديك كشخص يهتم فعلًا، لا كشرطي استجواب؛ لذا توقعت أن تبدأ «يُمنى» بالابتسام أو الضحك، مما يتيح لي الانتقال لبقية الحديث، لكن تعبيرات الفتاة الهادئة لم تتغير، لم تُعطِ رد فعل إيجابي أو دفاعي، بل بقيت ترمقني بصمتٍ وثبات أصاباني بالارتباك..

ماذا؟ هل فشلت؟ هل أسأت استخدام المقدمة فأتت مبتذلة بطريقة أو بأخرى؟

شعرت بالحرج وأنا أعيد تقليب الأوراق، أدى الحرج لإصابتي بالتوتر لثوانٍ، كانت كافية ليتبدد إعجابي السابق بالفتاة..

تحوَّلت من جديد إلى «يُمنى رءوف»، مقصلة مستقبلي المهني. رافضًا الفشل بدأت بالحديث من جديد:

- أدعى أحمد.. أحمد هاشم نصار، على الأرجح أخبرك الطبيب المسئول عنك هُنا بقدومي؛ إذن لا داعي للتعريف بنفسي من جديد وإثارة مللك..

قاطعت نفسي مبتسمًا، وأنا أعاود النظر إليها،

طالعتني ذات التعبيرات، فأكملت بحنق حاولت إخفاءه أسفل ستار المزاح:

- لا فكرة لديكِ كم عانيت للحصول على هذه المقابلة، صدقًا لدينا كمًّا أسطوريًّا من الترهات الروتينية بالبلد، يكفي لانتحار الراغب قبل الوصول إلى رغباته..

لا تغيير بوجهها اللعين، تابعت وقد بدأ الأمر بالتحول إلى تحدٍّ:

- أعتقد أن مَنْ بالمصحة يكرهونني الآن من أكبرهم لأصغرهم، لم أقدم على تجاوز سلطة سوى سلطة الوقت، لكن -كما تعلمين- الكراهية تنتشر، لا أهتم كثيرًا لأنني حصلت على مُبتغاي في

النهاية، لكن لو رأيتِ النظرات التي رمقوني بها حين خطوت عبر بوابة الاستقبال..

انتابني شعور غير مريح بأن الحديث بدأ يتخذ مجرى شخصيًّا، وأنني هبطت من موقعي خلف المدفع لأجلس بالجهة الأخرى، النظرة المترقبة بعينيها كذلك دفعت عقلي إلى الغليان؛ لذا صحت قبل أن أتمكن من منع نفسي:

- هل تسمعينني أصلًا؟ أم أحدث نفسي هُنا؟!

أطبقت فمي فور أن انتهت الجُملة، وحدَّقت نحو اللاشيء بفزعٍ، كارت أحمر.. ما فعلته الآن كان كارتًا أحمر لمهنتي، ولإمكانياتي كطبيب نفسي، تدربت، راجعت ما وقع أسفل يدي من مراجع،

درست كل ما أمكنني دراسته، لكن الصراخ بوجه المريض يُساوي الفشل متجسدًا؛ لذا عجزت عن تصديق ما بدر مني، وتسمَّرت بعقلٍ خاوٍ هنيهة.

- ما زال أمامك طريق طويل دكتور..

باغتني الصوت المخملي، فرفعت عينيّ نحوها تلقائيًّا، كانت تبتسم برزانة، وهي تتفحص تعبيرات وجهي المتغضن، لم تبدُ مستاءةً لكن للمرة الثانية أشعر أنني تحت المجهر أمام نظرتها الثابتة تلك..

- لنعقد اتفاقًا..

انساب صوتها بهدوء من جديد، وبهذه الجُملة استلمت دفة حديثٍ طال..